(٧) مطاعن المستشرقين فى منهج المحدثين :

(أ) وجهة النقد عند المحدثين :

قال جولد زيهر :

"ولم يستطع المسلمون أنفسهم أن يخفوا هذا الخطر - أى خطر الوضع فى الحديث ، ومن أجل هذا وضع العلماء علماً خاصاً له قيمته وهو علم نقد الحديث ، لكى يفرقوا بين الصحيح وغير الصحيح من الأحاديث ، إذا أعوزهم التوفيق بين الأقوال المتناقضة .

ومن السهل أن يفهم أن وجهات نظرهم فى النقد ليست كوجهات النظر عندنا ، تلك التى نجد لها مجالاً كبيراً فى النظر فى تلك الأحاديث التى اعتبرها النقد الإسلامى صحيحة غير مشكوك فيها ، ووقف حيالها لايحرك ساكناً .

ولقد كان من نتائج هذه الأعمال النقدية الاعتراف بالكتب الستة أصولاً ، وكان ذلك فى القرن السابع الهجرى ، فقد جمع فيها علماء من رجال القرن الثالث الهجرى أنواعاً من الأحاديث كانت مبعثرة رأوها أحاديث صحيحة .

وقد أصبحت هذه الكتب مراجع مجزوماً بها لسنة النبى ، ويعتبر فى المقام الأول منها الصحيحان"(١).

ويرى جب(٢)أن ماقام به المحدثون من جهود تجاه السنة المدونة هو

---

(١) العقيدة والشريعة ص٥٠ .

(٢) جب :

هو السير هاملتون جب المولود عام ١٨٩٥م . من أعلام المستشرقين المعاصرين . كان عضواً للمجمع العلمى العربى فى دمشق ، والمجمع اللغوى فى القاهرة . ودرس اللغة العربية وقواعدها وتمرس فيها . ثم عمل أستاذاً لها فى عدد من الجامعات الأوربية ، وقد تولى إدارة مركز دراسات الشرق الأوسط .

من آثاره : "المدخل إلى تاريخ الأدب العربى" ، "وماهو الإسلام" ، "الاتجاهات الحديثة فى الإسلام" وغيرها الكثير .

انظر : المستشرقون ٢/٥٥١-٥٥٤ ، الاستشراق ص٣١ .

عبث لقلة حذرهم وتدقيقهم(١).

(ب) **التباين فى التوثيق والتضعيف :**

قال جولدتسيهر :

"والحكم على قيمة المحدث قد يختلف اختلافاً بيناً ، فربما كان ثقة عند قوم ، ولكن غيرهم كانوا يعدونه فى منتهى الضعف وربما اعتبروه كاذباً فى روايته"(٢).

(ج) **وجود الأسانيد اعتباطى ، ولم تجد اعتناء من المحدثين :**

قال شاخت :

"إن أكبر جزء من أسانيد الأحاديث اعتباطى ... ومعلوم لدى الجميع أن الأسانيد بدأت بشكل بدائى ووصلت إلى كمالها فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ... وكانت الأسانيد كثيراً لاتجد أقل اعتناء . وأى حزب يريد نسبة آرائه إلى المتقدمين كان يختار تلك الشخصيات ويضعها فى الإسناد"(٣).

(د) **نقد المحدثين لايتعدى إسناد الحديث :**

قال غاستون ويت(٤):

"وقد درس رجال الحديث السنة بإتقان إلا أن تلك الدراسة كانت موجهة إلى السند ومعرفة الرجال والتقائهم وسماع بعضهم من بعض" ، ثم قال : "لقد نقل لنا الرواة حديث الرسول مشافهة ثم جمعه الحفاظ ودونوه إلا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن ، لذلك لسنا متأكدين من أن الحديث قد وصلنا كما هو عن رسول الله ، من غير أن يضيف إليه الرواة شيئاً عن حسن نية فى أثناء روايتهم الحديث"(٥).

---

(١) انظر : دراسات فى حضارة الإسلام ص١٤٨ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٣٣٥/٧ .

(٣) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ١٠٤،٨٣/١ .

(٤) غاستون ويت : لم أقف له على ترجمة .

(٥) السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص٢٤٠ نقلاً عن "التاريخ العام للديانات - الإسلام" ص٣٦٥ .

الجواب على ذلك :

(أ) **وجهة النقد عند المحدثين :**

لقد شمل منهج المحدثين النقدى جميع الاحتمالات فى جوانب الحديث من حيث السند والمتن ، وأول الأمور فى ذلك أداء الراوى للحديث . فقد درسوا الرواة دراسة متنوعة ومستوفية ودقيقة ، فوضعوا لهم شروطاً من حيث التوثيق والتضعيف ، ثم وضعوا من العلوم مايكشف أحوالهم ، فبينوا أسماءهم ، وتواريخهم ، وأماكنهم ، ومايتصل بذلك من فروع ومسائل ، كما درسوا صيغ الاتصال بين الرواة فى حالة الأخذ والأداء ، ومادل منها على الاتصال ومالم يدل ، وتناولوا متون الأحاديث بالفحص والتدقيق وتتبعوا مابها من علل وشذوذ وغير ذلك ، بقواعد رصينة محكمة .

فجاءت أحكامهم على الحديث واضحة جلية ، شاملة لكل أنواعه ، من حيث قبوله ورده ، فتدرجوا فى ذلك بدءاً من قمة الصحة فيما أسموه أصح الأسانيد وماحفه من قرائن ، ثم مراتب الصحيح ، ثم الحسن لذاته فالحسن لغيره ، فالضعيف ضعف يسير ، فالضعيف ضعف شديد ، إلى الموضوع الذى لاتجوز روايته إلا على سبيل القدح فيه(١).

فهذامنهج كامل شامل لكل جوانب الحديث مادق منها وماجل ، والمنصف لايسعه إلا أن يقف إجلالاً واحتراماً ، لهذا المنهج القويم ، ولهذا الجهد المضنى الذى بذله علماؤنا الأفاضل ، حتى خرجوا بأحكام سليمة على الأحاديث النبوية ، حفظت بها السنةالمطهرة من عبث كل عابث .

ولم يأت ذلك المنهج إلا بعد عمل دؤوب ، وبذل جهد منقطع النظير ، وشدة انتباه وحرص ، ودقة تطبيق ، وقوة تمييز ، أذهلت العالم بأسره ، وماذلك إلا بتوفيق من الله سبحانه الذى أراد حفظ سنة نبيه فهيأ لها من الأسباب ماأدى إلى بقائها .

---

(١) انظر : منهج النقد فى علوم الحديث ص٤٣٣-٤٣٤ .

والـذى يريد أن يقف على متـانة منهج المحدثين فعليـه أن يلقى نظرة على هذه المؤلفات التى لاتحصى عدداً فى كل فن من فنـون الحديث ، ومابذل فيهـا مـن عنـاية فائقة لامثيـل لهـا ، فإنه لايملك ـ إن كـان منصفـاً ـ إلا أن يسجـل اعترافاً لأولئك القـوم الأماجد بكمال منهجهـم وشمـوليته ووضوحه ودقته . ومايدعيه جولد زيهر بأن وجهة نظرهم فى النقـد ليست كوجهة نظر علمـاء الإسلام ، فهـذا صحيـح ، فلاشك إن البعد بين منهـج المحـدثين وبين منهج المستشرقين بعد ساحق كالبعد بين المحدثين والمستشرقين .

قال دكتور محمد عجاج الخطيب :

"إن وجهـة نظـر النقـاد المسلمين مبنيـة على القـواعد والأصـول التى وضعـوها فى نقـدهم ، وقد رأينـا دقتهـا وعرفنا قيمتهـا ، فمـن الطبيعـى أن تختلـف عن وجهة نظر النقاد الأجانب ، الـذين لايؤمنـون برسالة محمد صلى اللـه عليـه وسلم ولايعتقدون الإيحاء إليـه ، فنحـن مختلفـون معهـم من نقطة البـداية ، لأن كثيراً مـن الأحاديث التى تتنـاول العقـائد والغيبيـات سلمنـا بصحتهـا بعـد التحقيق العلمـى ، وسلمنا بكل ماجاء فيهـا لأنهـا عن الصادق المصـدوق ، فاختلاف وجهة نظرهم لايضيرنا مادمنا قد سلكنـا فى نقدنا وبحثنا أسلم طـرق البحث العلمى وأدقها ، وقد شهد لنا بذلـك المنصفون منهم"(١).

ومـازعمه جب مـن أن جهود المحـدثين تجاه السنـةالمدونة عبـث لقلـة حذرهـم وتدقيقهم ، زعم متهـافت وعبث ، ولولا خشيـة أن يتأثر به خفاف العقـول ماأجبت عنه لسقوطـه وشدة ضعفه . وأضرب لجب مثـالاً يعكس له دقـة علمـائنا ، ورصـانة منهجهـم ، وشـدة تحريهـم ، وجودة خبرتهـم التى اكتسبـوها بالممارسة وطول الملازمة ، مع مشقة الطريق وصعـوبة السير فيه .

قال ابن أبى حاتم الرازى :

"تعـرف جودة الـدينار بالقيـاس إلى غيره ، فإن تخلـف عنـه فى الحمرة والصفـاء علم أنه مغشوش . ويعلم جنس الجوهر بالقياس إلى غيره فـإن خالفه

---

(١) السنة قبل التدوين ص٢٥٣ .

فى الماء والصلابة علم أنه زجاج ، ويقاس صحة الحديث بعدالة ناقليه وأن يكون كلاماً يصلح أن يكون من كلام النبوة"(١).

إنه منهج بنى على علم ودراية ، وتولى تطبيقه أطباء مهرة يجيدون الصنعة ، كما يجيد الصيرفى استخراج الدرهم الجيد من البهرج ، بل وأبلغ من ذلك ، لأن الأمر فى شأن الحديث دين وهو أولى بالتحرى والدقة من أمر الدراهم والدنانير . وهم فيه أشد حذراً وأكثر تثبتاً .

سئل أبو زرعة "ماالحجة فى تعليلكم الحديث؟ فقال : الحجة أن تسألنى عن علة حديث ، فأذكر علته ، ثم تقصد ابن وارة - يعنى محمد بن مسلم بن وارة (٢)- فتسأله عنه فيذكر علته ، ثم تقصد أبا حاتم فيعلله . ثم تميز كلامنا على ذلك الحديث ، فإن وجدت بيننا خلافاً ، فاعلم أن كلاً منا تكلم على مراده، وإن وجدت الكلمة متفقة ، فاعلم حقيقة هذا العلم . ففعل الرجل ذلك ، فاتفقت كلمتهم ، فقال : أشهد أن هذا العلم إلهام"(٣).

إنه علم محكم دقيق لايوحى إلى أصحابه ، ولكنهم ينطلقون من قواعد ثابتة وأصول محكمة ، تقذف بأحكام متوافقة منسجمة لااختلاف بينها ولاتباين .

قال الدكتور محمد مصطفى الأعظمى :

"ففى الواقع كان معيار المحدثين دقيقاً وشديداً . فما كانوا يقبلون شيئاً نظيفاً إلا من يد نظيفة ، لذلك كانوا ينظرون أولاً إلى الرواة فإذا ثبت فيهم الضعف رموا بالحديث ولم يقبلوه ولو كان المتن صحيحاً ، لأنه يجب فى

---

(١) تقدمة الجرح والتعديل ٣٥١/١ .

(٢) محمد بن مسلم بن وارة :
هو محمد بن مسلم بن عثمان بن عبد الله الرازى ، المعروف بابن وارة ، ثقة حافظ . روى عن أبى عاصم والفريابى . وعنه النسائى وابن أبى حاتم والمحاملى . مات سنة ٢٧٠هـ وقيل قبلها .
انظر : الجرح والتعديل ٧٩/٨-٨٠ ، الكاشف ٩٧/٣ ، تقريب التهذيب ٢٠٧/٢ .

(٣) الباعث الحثيث ص٦٣ ، وانظر : الجرح والتعديل ٣٤٩/١-٣٥١ .

نظرهم لقبول الرواية أن يكون شطرا الرواية : الإسناد والمتن كلاهما صحيحين ، ولايكفى صحة أحدهما لقبولها"(١).

وقال الدكتور مصطفى السباعى :

"لايستطيع من يدرس موقف العلماء ـ منذ عصر الصحابة إلى أن تم تدوين السنة ـ من الوضع والوضاعين وجهودهم فى سبيل السنة وتمييز صحيحها من فاسدها ، إلا أن يحكم بأن الجهد الذى بذلوه فى ذلك لامزيد عليه ، وأن الطرق التى سلكوها هى أقوم الطرق العلمية للنقد والتمحيص ، حتى لنستطيع أن نجزم بأن علماءنا رحمهم الله ، هم أول من وضعوا قواعد النقد العلمى الدقيق للأخبار والمرويات بين أمم الأرض كلها ، وأن جهدهم فى ذلك جهد تفاخر به الأجيال وتتيه به الأمم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم"(٢).

وأما قدحه فى الكتب الستة بما فيها الصحيحان قد أجاب عنه الدكتور محمد عجاج الخطيب ، إضافة إلى ماذكرنا فى موضوع التدوين وكيف حفظت السنة حتى ضمنت فى المؤلفات المتنوعة .

قال :

"أما رأيه فى الكتب الستة أنها مجموعة من الأحاديث التى ضمها مؤلفوها بعد أن كانت مبعثرة فى القرن الثالث ، ورأوا أنها صحيحة ، فهذا رأى مردود ، فيه إنكار لجهود العلماء الجبارة التى بذلوها خلال القرن الأول والثانى فى سبيل صيانة السنة وحفظها ، فالسنة لم تكن مبعثرة متفرقة ، بل كان معظمها عملياً ، يطبقه المسلمون ، ويقيمون تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم على هداه ، ولم يقتصر هذا على عهد الصحابة والتابعين ، أو على موطن الإسلام الأول ، بل انتشرت سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام فى القرن الأول والقرون التالية ، وذاعت فى الآفاق عندما حرر المسلمون

---

(١) منهج النقد عند المحدثين ص٨٥ .

(٢) السنة ومكانتها فى التشريع ص٩٠ .

الأوائل البلاد المجاورة من طغيان الحكام ، وانتقلت السنة العملية والقولية والتقريرية ، جيلاً عن جيل ، تحفظها صدور الحفاظ وصحفهم إلى أن جمعت فى كتب مصنفة ، وفى أجزاء مبوبة فى منتصف القرن الثانى الهجرى على أيدى كبار العلماء والحفاظ ، وإن ماجمعه البخارى ومسلم وغيرهما فى القرن الثالث لم يكن مبعثراً ، وإنما اختير من ألوف الأحاديث التى كانت عند الحفاظ متوخين الأحاديث الصحيحة"(١).

وهو كلام رصين ، دحض به شبهة هذا المستشرق الذى يهدف من وراء ذلك إلى التشكيك فى الكتب الستة وفى مقدمتها الصحيحان ، حتى تزول الثقة بهذه الكتب التى جمع مؤلفوها فيها عدداً لايستهان به من الأحاديث ، وقد ركز فى طعنه على الصحيحين لأن فى انهيارهما انهياراً لبقية كتب الحديث الأخرى ، لأن الصحيحين يتبوآن منزلة عظيمة بين كتب السنة قاطبة فهما أصح الكتب بعد كتاب الله جل وعلا(٢).

لأن البخارى ومسلماً رحمهما الله لم يدخلا فيهماإلا ماصح ، قال البخارى : "ماأدخلت فى كتاب الجامع إلا ماصح وتركت من الصحاح لملال الطول" .

وقال مسلم : "ليس كل شىء عندى صحيح وضعته هنا - يعنى فى كتاب الصحيح - إنما وضعت ههنا ماأجمعوا عليه"(٣).

وأحاديثهما فى أعلى مراتب الصحيح ، فما اتفقا عليه يتبوأ المرتبة الأولى ثم ماانفرد به البخارى ثم ماانفرد به مسلم(٤).

إضافة إلى أن ماتفقا عليه أو انفرد به أحدهم مقطوع بصحته والعلم اليقينى النظرى واقع به(٥).

---

(١) السنة قبل التدوين ص٢٥٣-٢٥٤ .

(٢) انظر : مقدمة ابن الصلاح ص٩ ، تقريب النووى مع التدريب ٩١/١ ، اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص٢٣ .

(٣) مقدمة ابن الصلاح ص١٠ .

(٤) انظر المرجع السابق ص١٤ .

(٥) انظر المرجع السابق ص١٤ .

وذلك لما احتف بأحاديثهما من قرائن منها : جلالتهما فى علم الحديث وتقدمهما فى تمييز الصحيح على غيرهما ، وتلقى العلماء لكتابيهما بالقبول ، وهذا التلقى وحده أقوى فى إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر(١).

فما قاله جولد زيهر حولهما وحول الكتب الستة ، لاصحة له بحال من الأحوال ، وإنما يستهدف من ذلك كما أسلفت أن يقوض صرح السنة الشامخ ، ويشاركه فى هذا الهدف أعداء الإسلام من المستشرقين الذين شرقوا وغصت حلوقهم بالمد الإسلامى الهائل ولذلك تراهم يركزون طعونهم فى مواضع مهمة ترتكز عليها دعامة السنة ، فقد طعنوا فى أبى هريرة رضى الله عنه لعلمهم بأنه أكثر من روى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم طعنوا فى الزهرى رحمه الله لما تبين لهم أنه أول من دون الحديث وجمع من العلم مافاق به أقرانه ، ثم قدحوا فى الصحيحين وبقية الكتب الستة لما حوته من عدد هائل من الأحاديث ، وهى كتب معتمدة عند الأمة الإسلامية .

فإذا تهاوت الأحاديث التى حدث بها أبو هريرة وتلك التى جمعها الزهرى ، وماجاء فى الكتب الستة فماذا بقى بعد ذلك لأمة الإسلام من إرث نبيهم .

إنه مخطط إجرامى رهيب يستهدف إسلامنا ، فهل ياترى عقل ذلك أبناء الإسلام؟ والمثقفون منهم بالذات؟ أرجو ذلك!!

(ب) التباين فى التوثيق والتضعيف :

لقد اعتبر جولدزيهر أن اختلاف علماء الحديث فى توثيق الرجل وتضعيفه مطعن فى منهجهم ، ويلزم من ذلك أن يوثقوا من لايستحق التوثيق ، ويضعفوامن لايستحق التضعيف ، وينتج عنه تصحيح أحاديث لم تبلغ درجة الصحة ، ولذا حكموا على كثير من الأحاديث بالصحة وهى ليست كذلك.

---

(١) شرح نخبة الفكر ص٢٠-٢٢ بتصرف .

هذه لوازم تؤخذ من عباراته ومن مفهوم كلامه ، إذ القصد التشكيك فى السنة .

وماوضعه علماء الحديث من قواعد وأصول ثابتة لتوثيق الرواة وتضعيفهم ، ينفى ماقال ، ولم ينطلقوا رحمهم الله فى تعديل الرواة وتجريحهم من هوى ، أو حسب الأمزجة ، وإنما كانوا يفعلون ذلك حسبة لله وتدينا ، ولذلك كثر قولهم "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم"(١).

ولقد قام علم عظيم وضعت له القواعد وأسست له الأسس ، وجعل مقياساً دقيقاً ضبطت به أحوال الرواة من حيث التوثيق والتضعيف ، ذلك علم الجرح والتعديل الذى لانظير له عند أمة من الأمم .

والذى يطلع فى كتب علوم الحديث يقف مبهوتاً أمام هذا العلم الفائق الدقة ، البالغ الإحكام ، الذى لايمكن أن يكون وضع صدفة أوجاء عفواً ، وانما بذلت فيه جهود ، وتعبت فيه أجسام ، وسهرت فيه أعين حتى بلغ إلى قمة الحسن ومنتهى الجودة .

ونتناول من هذا العلم أموراً ثلاثة يتضح من خلالها فساد زعم هذا المستشرق وبطلانه .

أولها : من هو الراوى الذى يقبل حديثه؟

ثانيها : كيف يوثق؟

ثالثها : إذا تعارض فيه توثيق وتضعيف ، ماالعمل إذاً؟ وماالذى أدى إلى ذلك؟

والجواب على هذه الأسئلة :

أولها : لقد نص علماء الحديث على صفات معينة متى توفرت تلك الصفات فى شخص معين قبلت روايته واحتج بحديثه .

قال ابن الصلاح رحمه الله :

---

(١) صحيح مسلم ، المقدمة ١٤/١ ، كتاب المجروحين ص٢١-٢٣ .

"وأجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلاً ضابطاً لما يرويه . وتفصيله أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً سالماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة متيقظاً غير مغفل حافظاً إن حدث من حفظه ، ضابطاً لكتابه إن حدث من كتابه . وإن كان يحدث بالمعنى اشترط فيه مع ذلك أن يكون عالماً بما يحيل المعانى"(١).

فهذا هو الثقة الذى تقبل روايته وهو الذى جمع بين شرطى العدالة والضبط .

ثانيها : يوثق الراوى إذا ثبتت عدالته بالاستفاضة ، أو باشتهاره بين أهل العلم بالثناء والخير ، أو بتعديل عالم أو أكثر بالتعديل(٢)، وثبت ضبطه بموافقة روايته للثقات المتقنين فى الغالب(٣).

ويقبل تعديل الراوى ولو لم يذكر سببه وذلك لكثرة أسباب التعديل ومشقة ذكرها .

وأما جرحه فلايقبل إلا إذا بين سببه ، لأنه يحصل بأمر واحد ، ولامشقة فى ذكره ، إضافة إلى اختلاف الناس فى أسبابه(٤).

ثالثها : إذا تعارض جرح وتعديل فى راو معين قدم الجرح ولو زاد عدد المعدلين ، وعلى ذلك جمهور العلماء، لأن مع الجارح زيادة علم خفيت عن المعدل ، فالمعدل يخبر عن ظاهر حال الراوى ، والمجرح يخبر عن أمر باطن(٥).

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص٤٩-٥٠ ، وانظر : التقريب مع التدريب ٣٠٠/١-٣٠١ ، اختصار علوم الحديث مع الباعث ص٨٧ ، كتاب المجروحين ٨/١ .

(٢) انظر : مقدمة ابن الصلاح ص٥٠ ، التقريب مع التدريب ٣٠١/١ ، اختصار علوم الحديث مع الباعث ص٨٨ .

(٣) انظر : مقدمة ابن الصلاح ص٥٠ ، التقريب مع التدريب ٣٠٤/١ ، اختصار علوم الحديث مع الباعث ص٨٩ .

(٤) انظر : مقدمة ابن الصلاح ص٥٠-٥١ ، التقريب مع التدريب ٣٠٥/١ ، اختصار علوم الحديث مع الباعث ص٨٩ .

(٥) انظر : مقدمة ابن الصلاح ص٥٢ ، تدريب الراوى ٣٠٩/١ ، الباعث الحثيث ص٩١ ، منهج النقد فى علوم الحديث ص٩١ .

قال الدكتور نور الدين العتر :

"لكن هذه القاعدة ليست على إطلاقها فى تقديم الجرح ، فقد وجدناهم يقدمون التعديل على الجرح فى مواطن كثيرة ، ويمكننا أن نقول : إن القاعدة مقيدة بالشروط الآتية :

(١) أن يكون الجرح مفسراً ، مستوفياً لسائر الشروط .

(٢) أن لايكون الجارح متعصباً على المجروح أو متعنتاً فى جرحه .

(٣) أن لايبين المعدل أن الجرح مدفوع عن الراوى ، ويثبت ذلك بالدليل الصحيح .

وهذا يدل على أن اختلاف ملحظ النقاد يؤدى إلى اختلافهم فى الجرح والتعديل ، لذلك قال الذهبى وهو من أهل الاستقراء التام فى نقد الرجال :

"لم يجتمع اثنان من علماء هذا الشأن قط على توثيق ضعيف ولاعلى تضعيف ثقة" . أى لأن الثقة إذا ضعف يكون ذلك بالنظر لسبب غير قادح ، والضعيف إذا وثق يكون توثيقه من الأخذ بمجرد الظاهر"(١).

وقال الحافظ ابن حجر :

"والجرح مقدم على التعديل ، وأطلق ذلك جماعة ولكن محله إن صدر مبيناً من عارف بأسبابه ، لأنه إن كان غير مفسر لم يقدح فيمن ثبتت عدالته ، وإن صدر من غير عارف بالأسباب لم يعتبر به أيضاً ، فإن خلا المجروح عن تعديل قبل الجرح فيه مجملاً غير مبين السبب إذا صدر من عارف على المختار ، لأنه إذا لم يكن فيه تعديل فهو فى حيز المجهول ، وإعمال قول المجرح أولى من إهماله"(٢).

كما أنه يجب أن يراعى عند الاختلاف حال المعدل والمجرح ، لأن ذلك من القرائن التى يرجح بها عند الاختلاف فى التوثيق والتضعيف .

---

(١) منهج النقد فى علوم الحديث ص٩١-٩٢ .

(٢) شرح نخبة الفكر ص١٥٥ .

قال الإمام الذهبى مبيناً أقسام المتكلمين فى الرجال من حيث التعنت والتوسط والاعتدال فى الجرح والتعديل :

"١ ـ قسم منهم متعنت فى الجرح ، متثبت فى التعديل ، يغمز الراوى بالغلطتين والثلاث ، ويلين بذلك حديثه ، وهذا إذا وثق شخصاً فعض على قوله بناجذيك ، وتمسك بتوثيقه ، وإذا ضعف رجلاً فانظر هل وافقه غيره على تضعيفه ، فإن وافقه ، ولم يوثق ذاك أحد من الحذاق ، فهو ضعيف ، وإن وثقه أحد فهذا الذى قالوا فيه : لايقبل تجريحه إلا مفسراً ، يعنى لايكفى أن يقول فيه ابن معين مثلاً : هو ضعيف ، ولم يوضح سبب ضعفه ، وغيره قد وثقه ، فمثل هذا يتوقف فى تصحيح حديثه ، وهو إلى الحسن أقرب . وابن معين وأبو حاتم والجوزجانى متعنتون .

٢ ـ وقسم فى مقابلة هؤلاء ، كأبى عيسى الترمذى ، وأبى عبد الله الحاكم ، وأبى بكر البيهقى : متساهلون .

٣ ـ وقسم كالبخارى ، وأحمد بن حنبل ، وأبى زرعة ، وابن عدى : معتدلون منصفون"(١).

وأما اختلافهم فى صحة حديث أو تضعيفه ، فيرجع ذلك إلى أمرين :

الأول : اختلافهم فى استيفاء الحديث لشروط الصحة ، فحكم كل ماأداه إليه اجتهاده .

الثانى : اختلافهم فى لزوم بعض تلك الشروط للصحة ، كالحديث المرسل ، فالبعض يصححه إذا استوفى بقية الشروط ، وبعضهم يضعفه لعدم الاتصال(٢).

---

(١) ذكر من يعتمد قوله فى الجرح والتعديل ص١٥٨-١٥٩ ، ضمن أربع رسائل بتحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، وانظر الجواب على السؤال الرابع من كتاب الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة ص١٦١ فما بعدها .

(٢) منهج النقد فى علوم الحديث ص٢٢٥ بتصرف . وانظر : مقدمة ابن الصلاح ص٨ التقييد والإيضاح ص٢٠ .

وبعد فعلماء الحديث لم ينطلقوا فى توثيقهم وتجريحهم ، وتصحيحهم وتضعيفهم من خواء وتخبط ، وإنما انطلقوا من قواعد متينة وأرض صلبة ، فى أحكامهم.ولذلك برزت هذه الأحكام إلى الوجود فى منتهى الدقة ، متفقة فيما بينها ، متحدة لاشذوذ فيها ، منسجمة لاتباين يعتريها .ويعجز كل دعى أن ينقد ماأصلوه بنقد علمى لامطعن فيه وبحكم لاقادح فيه .

وإن كان جوينبل قد أساء فى حكمه وظلم ، فهنالك من أحسن وعدل ، ذلك هو محمد أسد (ليوبولد فايس) عندما قال :

"إننا نتخطى نطاق هذا الكتاب إذا نحن أسهبنا فى الكلام على وجه التفصيل فى الأسلوب الدقيق الذى كان المحدثون ـ علماء الحديث ـ الأولون يستعملونه للتثبت من صحة كل حديث ، ويكفى ـ من أجل مانحن هنا بصدده ـ أن نقول إنه نشأ من ذلك علم تام الفروع غايته الوحيدة البحث فى معانى أحاديث الرسول وشكلها وطريقة روايتها . ولقد استطاع هذا العلم فى الناحية التاريخية أن يوجد سلسلة متماسكة لتراجم مفصلة لجميع الأشخاص الذين ذكروا عن أنهم رواة أو محدثون ، إن تراجم هؤلاء الرجال والنساء قد خضعت لبحث دقيق من كل ناحية ، ولم يعد منهم فى الثقات إلا أولئك الذين كانت حياتهم وطريقة روايتهم للحديث تتفق تماماً مع القواعد التى وضعها المحدثون ، تلك القواعد التى تعتبر على أشد مايمكن أن يكون من الدقة . فإذا اعترض أحد اليوم من أجل ذلك على صحة حديث بعينه أو على الحديث جملة ، فإن عليه هو وحده أن يثبت ذلك"(١).

(ج) **وجود الأسانيد اعتباطى ، ولم تجد اعتناء من المحدثين :**

لم يلق علم من العلوم فى جميع جوانبه وفروعه مالقى علم الحديث من العناية والإهتمام من علماء الأمة الإسلامية بدءاً من عهد الصحابة رضى الله عنهم إلى يومنا هذا ، وأصدق شاهد على ذلك هذه المؤلفات الكثيرة الماثلة

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق ص٩٢-٩٣ .

أمام أعين الجميع ، ومامن جزئية من جزئياته إلا وتجد أن العلماء أشبعوها بحثاً وأوفوها دراسة .

ومن ذلك إسناد الحديث الذى بدأ مع بداية رواية الحديث ، أى منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم حيث كان الشاهد يبلغ الغائب ، وكان الصحابة رضى الله عنهم يحضرون مجلسه ثم ينقل من حضره إلى من غاب عنه ماسمع ، كما سبق فى قصة عمر مع جاره الأنصارى(١).

وماكان الصحابة رضى الله عنهم يكذب بعضهم بعضاً إذ الثقة بينهم كانت متوفرة ، ولكن لما ركب الناس الصعب والذلول أصبحوا يشددون فى الإسناد ويلتزمونه فى رواية الحديث ، روى مسلم بسنده إلى مجاهد قال : جاء بشير العدوى إلى ابن عباس ، فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل ابن عباس لايأذن لحديثه ولاينظر إليه ، فقال : ياابن عباس مالى لاأراك تسمع لحديثى؟ أحدثك عن رسول الله ولاتسمع؟ فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا ، وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول ، لم نأخذ من الناس إلا مانعرف"(٢).

قال ابن سيرين :

"لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة ، قالوا سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلايؤخذ حديثهم"(٣).

وتشدد التابعون من بعدهم فى التمسك بالإسناد والتزامه فى الرواية ، وماكانوا يقبلون خبراً عن النبى صلى الله عليه وسلم إلا مسنداً .

---

(١) انظر : الوضع فى الحديث ٢/١٣-١٥ ، وانظر ص : ٤٧٩

(٢) صحيح مسلم ، المقدمة ١/١٣ .

(٣) المرجع السابق ١/١٥ ، الدارمى ١/١١٢ .

سمع الإمام الزهرى أهل الشام وهم يقولون : قال رسول الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : "ياأهل الشام :مالى أرى أحاديثكم ليست لها أزمة ولاخطم؟ قال الوليد بن مسلم(١): فتمسك أصحابنا بالأسانيد من يومئذ"(٢).

وكان إذا حدث رحمه الله أتى بالإسناد ويقول :"لايصح أن يرقى السطح إلا بدرجه"(٣).

وكان هشام بن عروة(٤)يوصى تلاميذه بطلب الإسناد فيقول : "إذا حدثك رجل بحديث فقل عمن هذا؟"(٥)

وقد أخذ الإسناد المتصل نصيبه من العناية والاهتمام البالغ فى عهد التابعين ، حتى أصبح من واجب كل من يروى حديثاً ، أن ينسب مايروى، وهو بإسناده الحديث يرفع العهدة عن نفسه ، ويطمئن سامعه إلى صحة نقله(٦).

---

(١) الوليد بن مسلم :
هو الوليد بن مسلم ، القرشى مولاهم ، أبو العباس الدمشقى ، ثقة ، لكنه كثير التدليس . روى عن الأوزاعى ، وثور بن يزيد ، وعنه أحمد وإسحاق بن منصور ودحيم . مات سنة ١٩٤هـ أو ١٩٥هـ .
انظر : الجرح والتعديل ١٦/٩-١٧ ، الكاشف ٢٤٢/٣ ، تقريب التهذيب ٣٣٦/٢

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٣٤/٥ .
والأزمة : جمع زمام . والخطم جمع خطام . والزمام والخطام بمعنى واحد وهو مايوضع فى أنف البعير فيقاد به .
انظر : القاموس المحيط ص١٤٢٦،١٤٤٤ .

(٣) الجرح والتعديل ١٦/٢ .

(٤) هشام بن عروة :
هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدى ، ثقة فقيه ، ربما دلس . سمع عمه ابن الزبير وأباه، وعنه شعبة ، ومالك ، والقطان . مات سنة ١٤٥هـ أو ١٤٦هـ
انظر : الجرح والتعديل ٦٣/٩ ، الكاشف ٢٢٣/٣ ، تقريب التهذيب ٣١٩/٢ .

(٥) الجرح والتعديل ٣٤/١ .

(٦) السنة قبل التدوين ص٢٢٦ بتصرف ، وانظر : أصول الحديث ص٤٣٠ .

وظل الإسناد من بعد ذلك يلقى عناية عظيمة من علماء الحديث وجهابذته ، بل أصبح طلبه عندهم تديناً لله تعالى .

قال عبد الله بن المبارك :

"الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ماشاء"(١).

وبالتالى لايعتمدون حديثاً ليس مسنداً .

يقول ابن المبارك :

"بيننا وبين القوم القوائم" . يعنى الإسناد(٢).

قال النووى فى معناه :

"إن جاء بإسناد صحيح قبلنا حديثه وإلا تركناه فجعل الحديث كالحيوان لايقوم بغير إسناد كما لايقوم الحيوان بغير قوائم"(٣).

ولذا إذا ورد إليهم حديث لايقبلونه مهما كان مقام من رواه إلا إذا أسنده ، وصح إسناده .

روى مسلم بسنده إلى أبى إسحق إبراهيم بن عيسى الطالقانى(٤)قال : قلت لعبد الله بن المبارك : ياأبا عبد الرحمن! الحديث الذى جاء "إن من البر بعد البر ، أن تصلى لأبويك مع صلاتك ، وتصوم لهما مع صومك"(٥).

---

(١) صحيح مسلم ، المقدمة ١٥/١ .

(٢) المرجع السابق ١٥/١ .

(٣) شرح النووى على مسلم ٨٨/١ .

(٤) أبو إسحق الطالقانى :

هو إبراهيم بن إسحاق بن عيسى البنانى ، مولاهم ، أبو إسحاق الطالقانى ، نزيل مرو . صدوق ، يغرب . وقال الذهبى : "ثبت ، مرجىء" . روى عن الدراوردى وابن المبارك . وعنه سمويه ، والدورى ، والصاغانى . مات سنة ٢١٥هـ.

انظر : الجرح والتعديل ٨٦/٢ ، الكاشف ٧٥/١-٧٦ ، تقريب التهذيب ٣١/١ .

(٥) والحديث أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه من حديث الحجاج بن دينار . كتاب الجنائز ، باب مايتبع الميت بعد موته ٣٨٧/٣ .

قال فقال عبد الله : " ياأبا اسحق عمن هذا ؟ قال : قلت له : هذا من حديث شهاب بن خراش (١) . فقال ثقة . عمن ؟ قال : قلت : عن الحجاج بن دينار(٢) . قال ثقة عمن ؟ قال : قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياأبا إسحق إن بين الحجاج بن دينار وبين النبى صلى الله عليه وسلم مفاوز ، تنقطع فيها أعناق المطى ، ولكن ليس فى الصدقة اختلاف " (٣) .

بل لم يقف البحث عن الإسناد والتشدد فيه عند العلماء وطلبة العلم فحسب ، بل أصبح أمراً مسلماً به عند عامة الناس . قال الأصمعى : " حضرت ابن عيينة وأتاه أعرابى فقال : كيف أصبح الشيخ يرحمه الله؟ فقال سفيان : بخير بحمد الله ، قال : ماتقول فى امرأة من الحاج حاضت قبل أن تطوف بالبيت ؟ فقال تفعل مايفعل الحاج غير إنها لاتطوف بالبيت . فقال : هل من قدوة ؟ قال : نعم ، عائشة حاضت قبل أن تطوف بالبيت، فأمرهـــا

---

(١) شهاب بن خراش :
هو شهاب بن خراش بن حوشب الشيبانى ، أبو الصلط الواسطى ، نزل الكوفة . صدوق يخطىء . روى عن عمه العوام ، وعمرو بن قرة ، وقتادة . وعنه آدم وعلى بن حجر وقتيبة .
انظر : الجرح والتعديل ٣٦٢/٤، الكاشف ١٥/٢-١٦، تقريب التهذيب ٣٥٥/١.

(٢) الحجاج بن دينار :
هو الحجاج بن دينار الواسطى ، لابأس به . روى عن معاوية بن مرة ، والحكم ابن عتيبة . وعنه شعبة ، ويعلى بن عبيد .
انظر : الجرح والتعديل ١٥٩/٣-١٦٠، الكاشف : ٢٠٦/١، تقريب التهذيب ١٥٣/١.

(٣) صحيح مسلم ، المقدمة ١٦/١ .

النبى صلى الله عليه وسلم أن تفعل مايفعل الحاج غير الطواف(١)، قال : هل من بلاغ عنها؟ قال : نعم ، حدثنى عبد الرحمن بن القاسم(٢)عن أبيه(٣)عن عائشة بذلك ؟

قال الأعرابى : "لقد استسمنت القدوة ، وأحسنت البلاغ والله ، لك بالرشاد"(٤).

ولقد عظم اهتمام علماء الحديث بالإسناد ، حفاظاً على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن تنالها يد العابثين ، وأن تتطرق إليها أهواء

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه . ولفظه : "فافعلى مايفعل الحاج غير أن لاتطوفى بالبيت حتى تطهرى" . كتاب الحيض (٦) ، باب تقضى الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت (٧) ، ٧٩/١ .
وفى كتاب الحج (٢٥) ، باب تقضى الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت (٨١) ، ١٧١/٢ . وأخرج نحوه فى كتاب العمرة (٢٦) ، باب العمرةليلة الحصبة وغيرها (٥) ، وباب عمرة التنعيم (٦) ، وباب الاعتمار بعد الحج بغير هدى (٧) ٢٠٠/٢-٢٠١ .
وفى كتاب الأضاحى (٧٣) ، باب الأضحية للمسافر والنساء (٣) ، ٢٣٥/٦ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه مكرراً بعدة ألفاظ . فى كتاب الحج (١٥) ، باب بيان وجوه الإحرام (١٧) ، ٨٧٣/٢-٨٧٤ .

(٢) عبد الرحمن بن القاسم :
هو عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، التيمى ، أبو محمد المدنى . ثقة جليل . قال ابن عيينة : كان أفضل أهل زمانه . سمع أباه وابن المسيب وأسلم مولى عمر . وعنه شعبة ومالك وابن عيينة . مات سنة ١٢٦هـ وقيل بعدها.
انظر : الجرح والتعديل ٢٧٨/٥-٢٧٩ ، الكاشف ١٨١/٢ ، تقريب التهذيب ٤٩٥/١ .

(٣) القاسم :
هو القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق التيمى ، ثقة ، أحد الفقهاء بالمدينة ، قال أيوب : مارأيت أفضل منه . روى عن عائشة وأبى هريرة وفاطمة بنت قيس وعنه الزهرى ، وأبو الزناد . مات سنة ١٠٦هـ على الصحيح .
انظر : الجرح والتعديل ١١٨/٧ ، الكاشف ٣٩٣/٢ ، تقريب التهذيب ١٢٠/٢ .

(٤) الكفاية ص٥٧٠ ، وانظر أصول الحديث ص٤٢٩ .

الجاهلين ، فبه حموا جناب السنة من الزيادة والنقصان ، وبسببه دفعوا كل كذب عنها وبهتان .

قال أبو حاتم بن حبان :

"ولو لم يكن الإسناد وطلب هذه الطائفة له لظهر فى هذه الأمة من تبديل الدين ماظهر فى سائر الأمم ، وذاك أنه لم يكن أمة لنبى قط حفظت عليه الدين عن التبديل ماحفظت هذه الأمة ، حتى لايتهيأ أن يزاد فى سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف ولاواو ، كما لايتهيأ زيادة مثله فى القرآن فحفظت هذه الطائفة السنن على المسلمين ، وكثرت عنايتهم بأمر الدين ، ولولاهم لقال من شاء بما شاء"(١).

وقال الحاكم :

"فلولا الإسناد وطلب هذه الطائفة له وكثرة مواظبتهم على حفظه لدرس منار الإسلام ولتمكن أهل الإلحاد والبدع فيه بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد ، فإن الأخبار إذا تعرت عن وجود الأسانيد كانت بتراء"(٢).

وماأصدق ماقال الثورى رحمه الله فى وصف الإسناد ، إذ يقول :

"الإسناد سلاح المؤمن ، إذا لم يكن معه سلاح فبأى شىء يقاتل"(٣). ومن هنا درس المحدثون الإسناد دراسة مستوفية ، فدرسوه من حيث اتصاله ، فوضعوا قواعد تتناول كافة أحوال الاتصال ، وسائر وجوهه ، فنظروا إليه من حيث مبدئه وانتهائه ، ووضعوا لذلك اسماً ، ودرسوا صيغه وبينوا شروطها ، ونظروا إلى مسافة السند من حيث الطول والقصر ، وإلى حال الرواة عند الأداء . ونقدوا الأسانيد فى الحديث الواحد ومافيها من زيادة ونقص . كما درسوا الإسناد من حيث الانقطاع وأنواعه ، فبحثوا موضعه من أوله أو وسطه أو آخره ، كما بحثوه من حيث طبيعته

---

(١) كتاب المجروحين ٢٥/١ .

(٢) معرفة علوم الحديث ص٦ .

(٣) كتاب المجروحين ٢٧/١ ، شرف أصحاب الحديث ص٤٢ .

فى الظهور والخفاء ، وبلغوا الغاية ومنتهى الدقة فى ذلك. واستوفوا بذلك كل أوجه الاحتمالات فى اتصال الحديث وانقطاعه مما أدى إلى بروز أحكامهم على الأحاديث فى غاية الصحة والدقة والسداد(١).

وقد عرفوا الحديث الصحيح بما نقله عدل تام الضبط ، متصل السند غير معلل ولاشاذ(٢).

فاختص الإسناد من ذلك بثلاثة شروط وشارك متن الحديث فى الشرطين الآخرين ، فدل هذا على أهميته البالغة ، واعتنائهم به .

بل أكثروا من الترحال والتنقل فى طلب الأسانيد وتتبعها والوقوف على مافيها من علل ، وبذلك حرصوا على قرب الأسانيد وقلة النقلة والوسائط .

وبعد هذا يتبين لنا أن مازعمه شاخت لم يبن على دراسة سابقة ، ولامعرفة ، وإنما ادعاء قصر فيه بصر صاحبه ، أو أغمض قصداً حتى لايشاهد الحقائق الثابتة البينة لكل منصف ، وذلك أمر فقد عند المستشرقين .

(د) **نقد المحدثين لايتعدى السند :**

هذه فرية أخرى ، وكذب مكشوف يوجه إلى منهج المحدثين ، لينفذ من خلاله إلى حصن السنة فيحدث فيه شرخاً ، ويقوض بنيانه ، إذ التشكيك فى السنة هو الهدف الرابط بين هذه الشبهة وسابقاتها ، وقد تساقط ماسبق وتبين فساده ، ولن تصمد هذه أبداً لأنها عارية عن الحقيقة وماكان كذلك ماأسرع مايكشف عدم صدقه ويفضح أمره ، وبيان ذلك :

لقد اهتم علماء الحديث اهتماماً بالغاً بدراسة متن الحديث ، واستوفوا تلك الدراسة ، وبذلوا قصارى جهدهم فى العناية به بحيث لايوجد مزيد على ماقدموه .

---

(١) انظر : منهج النقد فى علوم الحديث ص٣٦٧-٣٧٠ .

(٢) شرح نخبة الفكر ص٣٠ .

وماسبق مما أشرنا إليه من دراسة للإسناد إنما يهدفون من وراء كل ذلك إلى الوصول إلى صحة المتن لكى يتعرفوا على الصحيح مما نسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، هذا هدفهم وهذه غايتهم(١).

ونقدهم للسند مرتبط ارتباطاً وثيقاً بنقد المتن ، وقد بينا أن توثيق الراوى لايتم إلا بثبوت عدالته وضبطه ، وهذا الأخير إنما يعرف بمقارنة مرويات الراوى مع مرويات الثقات الآخرين(٢).

وصحة إسناد الحديث لاتعنى صحة الحديث ، لأن من شروط الصحيح ألا يكون شاذاً ولامعللاً ، والشذوذ والعلة يكونان فى السند كما يكونان فى المتن ، فقد يصح إسناد حديث ما ويكون فى متنه علة قادحة تقدح فى صحته وهكذا الشذوذ . ولذا لم تكن دراستهم قاصرة على الأسانيد ، وإنما بحثوا فى علل المتون وشذوذها،وضمن ذاك كتب المصطلح وكتب العلل وهى كثيرة.

وهنالك كثير من علوم الحديث لم يكتف فيها بدراسة الإسناد فقط ، وإنما درس الإسناد والمتن جميعاً ، من ذلك : الحديث المقلوب (٣)، والمضطرب(٤)،

---

(١) انظر : السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص٢٤٠ .

(٢) انظر : منهج النقد فى علوم الحديث ص٤٤٣-٤٤٤ .

(٣) المقلوب : هو أن يقدم الراوى ويؤخر فى اسم أحد الرواة واسم أبيه ، أو يبدل شخصاً بآخر . أو يقدم ويؤخر فى بعض متن الحديث ، أو يجعل متن حديث على إسناد آخر ، ويجعل إسناده لمتن آخر .
انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص٨٢-٨٥ ، شرح نخبة الفكر ص٨٧ ، تيسير مصطلح الحديث ص١٠٥-١٠٧ ، أصول الحديث ص٣٤٥-٣٤٧ .

(٤) المضطرب :
هو أن يأتى الحديث على أوجه مختلفة ، فى متنه أو فى سنده من راو واحد أو أكثر ، وتساوت رواياته فى القوة بحيث لايمكن الترجيح بينها بوجه من وجوه الترجيح .
انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص٦٨ ، شرح نخبة الفكر ص٨٩-٩١ ، تيسير مصطلح الحديث ص١١٢-١١٤ ، أصول الحديث ص٣٤٤-٣٤٥ .

والمدرج (١)، والمعلل ، والمصحف (٢)، والموضوع ، وزيادة الثقة (٣)(٤).

كما أنشئت علوم كثيرة تتعلق بدراسة المتن خاصة ، من ذلك غريب الحديث (٥)، أسباب وروده (٦)،

---

(١) المدرج :
هو ماوقعت فى إسناده أو متنه زيادة من بعض الرواة ليست من أصل الحديث ، بلافصل .
انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص٦٩-٧٣ ، شرح نخبة الفكر ص٨٥-٨٦ ، تيسير مصطلح الحديث ص١٠٣-١٠٦ ، أصول الحديث ص٣٧٠-٣٧٣

(٢) المصحف :
هو ماغيرت فيه كلمة أو أكثر فى إسناده أو متنه إلى غير ماروواها الثقات ، لفظاً أو معنى .
انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص١٦٥-١٦٩ ، شرح نخبة الفكر ص٩٢-٩٣ ، تيسير مصطلح الحديث ص١١٤-١١٧ ، أصول الحديث ص٣٧٣-٣٧٥

(٣) زيادة الثقة :
هى أن يروى الثقة حديثاً فيزيد فيه لفظة أو أكثر لم يروها غيره من الثقات الذين رووا الحديث نفسه .
انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص٥٨-٦٠ ، شرح نخبة الفكر ص٤٥-٤٩ ، تيسير مصطلح الحديث ص١٣٧-١٤٠ .

(٤) انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص٨٥-٨٦ .

(٥) غريب الحديث :
هو مايقع فى الحديث من لفظةغامضة تبعد عن الفهم لقلة استعمالها .
انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص١٦٢-١٦٣ ، شرح نخبة الفكر ص٩٤-٩٥ ، تيسير مصطلح الحديث ص١٧٤-١٧٥ ، أصول الحديث ص٢٨٠-٢٨٢ .

(٦) أسباب ورود الحديث :
هى المناسبات التى ذكرت فيها الأحاديث أو الوقائع التى من أجلها سيقت الأحاديث .
انظر : أصول الحديث ص٢٩٠ .

ناسخه ومنسوخه(١)، مشكله ، ومحكمه(٢)(٣).

وفى هـذه بذل المحدثون جهـداً لانظير له ولامثيـل ، ومن جهودهم فى دراسة المتن ماوضعوه من علامات وضوابط يعرف بها وضع الحديث من غير رجوع إلى سنده ، من ذلك :

(١) ركاكة اللفظ فى المروى :

فيدرك من له المام باللغة ومعرفتها أن ذلك لايمكن أن يكون من كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، إذا صرح الراوى بأنه لفظـه ، وإلا فمدار الركة على المعنى وإن لم ينضم إليها ركة اللفظ(٤).

(٢) فساد المعنى :

كـالأحاديث التى يكذبها الحس . كحـديث "الباذنجان لما أكـل له"(٥).

ومنهـا سماجة الحديث وكـونه مما يسخر منه كحـديث "من اتخذ ديكاً أبيض لم يقربه شيطان ولاسحر"(٦).

---

(١) ناسخ الحديث ومنسوخه :
النسـخ هو : رفع الشارع حكماً منه متقدماً بحكم منه متأخر . وعلم ناسـخ الحديث ومنسوخه هو العلم الذى يبحث عن الأحاديث المتعارضة التى لايمكن التوفيق بينها فيسمى ماتقدم منها منسوخاً ، وماتأخر ناسخاً .
انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص١٦٤-١٦٥ ، شـرح نخبة الفكر ص٦٠-٦٢ ، تيسير مصطلـح الحديث ص٥٩-٦٠ ، أصـول الحديث ص٢٨٧-٢٩٠ .

(٢) مشكل الحديث ومحكمه :
مشكـل الحديث أو مختلفـه هـو مـاعارضه غيره مـن الأحاديث . أو أشكـل فهمـه وتصوره .
ومحكم الحديث هو الذى سلم من معارضة غيره ، ولم يشكل معناه .
انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص١٦٩-١٧١ ، شـرح نخبة الفكر ص٥٨-٥٩ ، تيسير مصطلـح الحديث ص٥٦-٥٨ ، أصول الحديث ص٢٨٣-٢٨٦ .

(٣) انظر : منهج النقد فى علوم الحديث ص٣١٠-٣١٩ .

(٤) انظـر : تدريب الراوى ٢٧٥/١-٢٧٦ ، البـاعث الحثيث ص٧٧-٧٨ ، السنـة قبل التدوين ص٢٤٢ ، أصول الحديث ص٤٣٣ .

(٥) انظر : المنار المنيف ص٥١ .

(٦) انظر المرجع السابق ص٥٤-٥٥ .

ومادل على إباحة المفاسد والجرى وراء الشهوات ، كحديث "النظر إلى الوجه الجميل عبادة"(١).

وماشتمل على مجازفات لاتصدر عن العقلاء ، كحديث "المجرة التى فى السماء من عرق الأفعى التى تحت العرش"(٢).

وماقامت الشواهد الصحيحة على بطلانه ، كحديث عوج بن عنق الطويل(٣).

(٣) مخالفة الحديث لنص القرآن أو السنة المتواترة :

فما يخالف القرآن كحديث "مقدار الدنيا وإنها سبعة ألف سنة" فهو مخالف لقوله تعالى : {يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لايجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت فى السموات والأرض ، لاتأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها ، قل إنما علمها عند الله"(٤)(٥).

ومايخالف السنة كأحاديث مدح من اسمه محمد أو أحمد ، وأن كل من يسمى بهذه الأسماء لايدخل النار . والنار لايجار منها بالأسماء والألقاب وإنما بالإيمان والعمل الصالح(٦).

(٤) مادل على تواطؤ الصحابة على كتمان أمر وعدم نقله :

كما يدعى الشيعة أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد على وهم راجعون من حجة الوداع فأقامه بين جميع الصحابة وعرفه لهم بقوله : "هذا وصيى وأخى ، والخليفة من بعدى فاسمعوا له وأطيعوا" ثم اتفق الجميع على

---

(١) انظر : المنار المنيف ص٦٢ .
(٢) انظر المرجع السابق ص٥٩ .
(٣) انظر المرجع السابق ص٧٦ .
(٤) سورة الأعراف : آية ١٨٧
(٥) انظر المرجع السابق ص٨٠ .
(٦) انظر المرجع السابق ص٥٦-٥٧ .

كتمان ذلك(١).

(٥) ماخالف الحقائق التاريخية التى جرت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم واقترن بقرائن دلت على بطلانه .

كحديث "وضع الجزية عن أهل خيبر"(٢).

(٦) ماوافق مذهب الراوى وهو غال فى تعصبه :

مثل أن يروى رافضى حديثاً فى فضل أهل البيت ، أو مرجىء حديثاً فى الإرجاء(٣).

(٧) ماكان عن أمر جسيم تتوفر الدواعى على نقله :

كحصر العدو للحاج عند البيت ثم لاينقله إلا واحد منهم(٤).

(٨) ماشتمل على مجازفات وإفراط فى الثواب العظيم على الأمر الصغير ، أو وعيد عظيم على فعل يسير :

كحديث "من قال لاإله إلا الله خلق الله من تلك الكلمة طائراً له سبعون ألف لسان ، لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرن الله له"(٥).

وقد اكتسب الجهابذة من علماء الحديث مهارة فائقة فى التمييز بين الموضوع والصحيح من الحديث بمجرد نظرهم إلى المتن من غير دراسة للإسناد وذلك لملازمتهم لعلم الحديث ومعرفتهم بأحوال النبى صلى الله عليه وسلم .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

---

(١) انظر المرجع السابق ص٥٧ .
وحديث "هذا وصى ... الخ" ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات ٣٧٥/١ .
والملا على القارى فى الأسرار المرفوعة برقم ١٠٢٣ ، ص٢٥٨ .
والقيسرانى فى تذكرة الموضوعات ص٢١٩ وقال : "فيه خالد بن عبيد العتكى لايحتج به" .

(٢) انظر : المنار المنيف ص١٠٢ .

(٣) انظر : السنة قبل التدوين ص٢٤٦ ، أصول الحديث ص٤٣٦ .

(٤) انظر : السنة قبل التدوين ص٢٤٦ ، أصول الحديث ص٤٣٦ .

(٥) انظر : المنار المنيف ص٥٠-٥١ .

"سئلت : هل يمكن معرفة الحديث الموضوع بضابط ، من غير أن ينظر فى سنده؟

فهذا سؤال عظيم القدر ، وإنما يعلم ذلك من تضلع فى معرفة السنن الصحيحة ، واختلطت بلحمه ودمه ، وصار له فيها ملكة ، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ، ومعرفة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه ، فيما يأمر به وينهى عنه ، ويخبر عنه ويدعو إليه ، ويحبه ويكرهه ، ويشرعه للأمة ، بحيث كأنه مخالط للرسول صلى الله عليه وسلم كواحد من أصحابه .

فمثل هذا يعرف من أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه وكلامه ،ومايجوز أن يخبر به ، ومالايجوز : مالايعرفه غيره وهذا شأن كل متبع مع متبوعه ، فان للأخص به ، الحريص على تتبع أقواله وأفعاله من العلم بها ، والتمييز بين مايصح أن ينسب إليه ومالايصح ماليس لمن لايكون كذلك .

وهذا شأن المقلدين مع أئمتهم ، يعرفون أقوالهم ونصوصهم ومذاهبهم والله أعلم"(١).

وبفضل الله قد تكون عند أكثر علماء الحديث تلك الملكات الخاصة التى مكنتهم من تمييز ماصح من حديث النبى صلى الله عليه وسلم مما لم يصح ، وذلك لممارستهم حديث النبى صلى الله عليه وسلم وعنايتهم الفائقة به .

قال الربيع بن خثيم(٢) رحمه الله :

---

(١) المنار المنيف ص٤٣-٤٤ .

(٢) الربيع بن خثيم :
هو الربيع بن خثيم بن عائذ بن عبد الله الثورى ، أبو يزيد الكوفى ، ثقة عابد مخضرم ، قال له ابن مسعود : "لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك" روى عن ابن مسعود وأبى أيوب . وعنه الشعبى وإبراهيم . مات سنة ٦١هـ وقيل ٦٣هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٤٥٩/٣ ، الكاشف ٣٠٤/١ ، تقريب التهذيب ٢٤٤/١ .

"إن من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار نعرفه به ، وإن من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل نعرفه بها"(١).

وقال ابن الجوزى :

"الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم ، وينفر منه قلبه فى الغالب"(٢).

وقال ماأحسن قول القائل : "إذا رأيت الحديث يباين المعقول ، أو يخالف المنقول ، أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع"(٣).

فعلماء الحديث رحمهم الله درسوا متن الحديث دراسة وافية يعرف قدرها من نظر إلى مؤلفات القوم وماتركوه من ميراث عظيم سارت على ضوئه الأجيال ، واعترف بذلك المنصفون ، فلاعبرة بما قاله غاستون ويت ، ولابما قاله كل حاقد هالك يريد شرا بديننا القويم ، فنحن المسلمون بحمد الله نثق فى علمائنا الأجلاء ونقدر لهم جهودهم ، ونشكر لهم مابذلوه من جهود فى خدمة سنة النبى صلى الله عليه وسلم ، ونشهد لهم بذلك ، وبسلامة منهجهم واستقامته ، ولانلتفت إلى طعن طاعن ، أو قول مبغض فيهم أبدا ، بل نكشف قوله ، ونرد كيده ، ونمحو أثره ، وصدق الله إذ يقول : {بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون}(٤).

---

(١) معرفة علوم الحديث ص٦٢ ، الكفاية ص٦٠٥ .

(٢) الموضوعات ١٠٣/١ ، تدريب الراوى ٢٧٥/١ ، الباعث الحثيث ص٧٨ .

(٣) تدريب الراوى ٢٧٧/١ . وانظر الموضوعات ٩٩/١ .

(٤) سورة الأنبياء : آية ١٨